حافة الهاوية

محمود سالم

حافة الهاوية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

حافة الهاوية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٧٢٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المغامرة على شريط تسجيل	١١
مفاجأة غير متوقعة	١٧
مغامرة مفاجئة في الفضاء	٢٣
مغامرة في مهب الريح	٢٩
سيارة تقوم بكل العمل	٣٥
مطاردة سينمائية حول «مازني»	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقتَه أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لُبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فِلَسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقتَه أحد!

المغامرة على شريط تسجيل

أخذ الشياطين طريقَهم إلى القاعة الصغرى للاجتماعات، بعد أن صدر أمرُ استدعاءٍ من رقم «صفر» ... كان الأمر يقول: مهمةٌ خطرةٌ، الوقتُ هو الأهم.

كانت القاعة الصغرى تقع في نهاية مبنى المقر السري للشياطين، وكانوا لحظتها يشاهدون فيلمًا أجنبيًّا من أفلام رعاة البقر ... فجأةً توقَّف عرض الفيلم، وظهر على شاشة العرض الصغيرة أمر الاستدعاء ... اندهش الشياطين، حتى إن «إلهام» قالت: هذه أول مرة يصدر فيها أمر استدعاء!

وأضافت «ريما»: والغريب أنه حدَّد أيضًا خطورة المغامرة!

وقال «مصباح» مبتسمًا: يبدو أنها مغامرة مثيرة، ما دامت هذه بدايتها ...

أما «أحمد» فقد استغرق في التفكير بمجرد أن قرأ الاستدعاء. فالقاعة الصغرى تقع في نهاية ممر طويل، في آخر مبنى المقر السري للشياطين، وكانت دائمًا مُعدَّة من أجل هذه المغامرات السريعة، والمثيرة. ففي العادة، يكون الاجتماع في القاعة الكبرى، حيث تُعرض على الشاشة الإلكترونية، معلومات تتصل بالمغامرة الجديدة.

دخل الشياطين القاعة في هدوء، وأخذوا أماكنهم. كانوا جميعًا في حالة توتر ... فصدور هذا الأمر يعني أن شيئًا خطيرًا سوف يحدث. مرَّت دقائق، فقال «عثمان»: إنَّ الوقت يمر، والزعيم يقول إنَّ الوقت هو الأهم!

ردَّ «أحمد» بسرعة: الزعيم يعرف تقدير الأمور جيدًا، وأظن أنه لن يُضيع الوقت فيما لا يفيد!

شعر «عثمان» أنه تسرَّع في كلماته، فقال وكأنه يعتذر: إنَّني لم أقصد ذلك. لقد قصدت ...

ابتسم «أحمد» وهو يقاطعه قائلًا: إنني أعرف ماذا تقصد ...

صمت لحظة، ثم أضاف: لا تكن مُتعجلًا، فسوف يتم كلُّ شيءٍ في موعده!

وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة، كان صوت رقم «صفر» يملأ المكان. رحَّب الزعيم بهم، ثم قال: حتى لا نُضيع وقتًا طويلًا. أنتم أمام مغامرة جديدة ومثيرة تمامًا. ليس لأنها لم تحدث من قبل، فقد حدثت كثيرًا، ولكن أحد عناصر المغامرة غريب فعلًا، وإذا لم يتم كل شيء كما ينبغي، فإننا سنخسر تمامًا. ثم سكت، فنظر الشياطين إلى بعضهم، غير أن صوت رقم «صفر» جعلهم ينتبهون إليه بسرعة، قال الزعيم: إذا كان الخطأ جائزًا في أي مغامرة سابقة، ونحن جميعًا نخطئ، إلا أن المغامرة الجديدة لا تحتمل أي نسبة من الخطأ ...

سكت من جديد، وكانت كلماته قد أثارت الشياطين تمامًا، التقت أعينهم؛ فقد كانوا على موعد مع عمل جديد، شديد الإثارة. قطع الصمتَ صوتُ الزعيم يقول: سوف أترككم تسمعون هذا التسجيل الذي سجَّله عميلنا في «المجر» ... ومنه، سوف تعرفون المغامرة تمامًا ...

صمت، ثم قال بعد لحظة: أرجو أن تهتموا بكل كلمة تُقال، ثم يكون لنا لقاء.

ضغط زرًّا، في جهاز يبدو واضحًا على شاشة تليفزيون صغير ثم أخذ صوت أقدامه يبتعد شيئًا فشيئًا. ولم يكن صوت الجهاز قد بدأ وبعد لحظة جاءت أصوات. قال صوت امرأة عجوز: إن الطريق من «سوبرون» إلى «فيينا» مُغطًّى بالثلوج في هذا الوقت من السنة!

ردَّ صوت رجل: نعم يا أمي، أعرف ذلك!

الأم: ما كان ينبغي إذن أن تسافر مع ولديك!

الرجل: لن يحدث شيء، فالمسافة لا تزيد على خمسين كيلومترًا.

مرَّ بعض الوقت، قبل أن يجيء صوت الأم: «جون»، هل أعددت نفسَك جيدًا؟!

ردَّ صوت صبي: نعم يا جدتي!

قالت الجَدَّة، وهي نفسها صاحبة الصوت النسائي العجوز: كنت أتمنَّى أن تبقى أنت وأختك «جان ماري» معي؛ فمهمة والدكما لن تستغرق وقتًا طويلًا.

ردَّ صوت فتاة: إنه ليسعدنا أن نكون مع والدنا لأنه يحتاج إلى رعايتنا!

ضحكت الجَدَّة وقالت: وهل ستقومين برعايته جيدًا؟

ردَّت «جان ماري»: أرجو ذلك يا جدتي!

مرَّت فترة صمت، ثم قالت الجدة: «مازني»، أما كان الأحسن أن تأخذ معك سائقًا للسيارة؟!

ردَّ «مازني»: أريد أن أستمتع بالرحلة يا أمي. اطمئني، فلن أُسرع في القيادة!

قالت الأم: لعن الله هذه الأزمات التي تنتابك. لو كنت سليمًا، ما شعرت بالقلق عليك ...

سكتت لحظة ثم قالت: كان الأجدر بمركز أبحاث «فيينا» أن يرسل سيارة لنقلك إلى هناك!

ردَّ «مازني» لقد عرضوا بل ألحُّوا في عرضهم، لكني رفضت. أنتِ تعرفين أنني أهوى قيادة السيارات وهذه فرصة طيبة لكي أمارس هوايتي ...

قالت: لكن الطبيب منعك من ممارسة هذه الهواية!

ردَّ «مازني» بعد لحظة: لا بأس. فإنني أشعر بأنَّ صحتي على ما يرام.

قالت: أنت لا تعرف حوادث الطريق، خصوصًا عندما يغطِّي الثلج الطريق.

ضحك «مازني» وهو يقول: أرجو ألا تخشي شيئًا يا أمي. ينبغي أن تشجعيني، بدلًا من بثِّ الرعب في نفسي!

قالت الأم: إنني لا أفعل ذلك، إنني فقط أخشى أن تتعرض لأزمة ما ...

قال «مازني»: الله معي!

مرَّت دقيقة، ثم جاء صوت «جون»: إنني جهزتُ كلَّ شيء يا أبي!

وقالت «جان ماري»: وأنا أيضًا يا أبي!

قالت الجدة: إذن عليكما أن تلبسا هذه الملابس التي جهزتها لكما خصوصًا للسفر!

مرَّت فترة صمت طالت، ثم سكت الجهاز. نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «مصباح»: واضح أن أم الطفلين ليست موجودة!

ردَّت «إلهام»: قد تكون في «فيينا»، وهم ذاهبون إليها!

قالت «ريما»: وربما تكون في مكان آخر مثلًا!

سكت الشياطين، في انتظار عودة رقم «صفر»، غير أن «عثمان» قطع الصمت قائلًا: إن «مازني» يقوم برحلة يقطع فيها الحدود بين المجر والنمسا. هل يعني هذا شيئًا؟

قال «رشيد» بسرعة: أولًا، من هو «مازني» هذا؟ إن معرفة شخصيته هي التي يمكن أن تُوضِّح لنا طبيعة المهمة.

ردَّ «بو عمير»: واضح من كلمات الجَدَّة — وهي تذكر مركز «الأبحاث» — أن الرجل له عَلاقة بالأبحاث العلمية.

قال «رشيد»: إن مراكز الأبحاث متنوعة، ويمكن أن يكون مركز أبحاث بيئية، أو جغرافية، أو صناعية ... مثلًا!

ردَّت «زبيدة»: كلها أشياء هامة في النهاية. وهذا يعني أن «مازني» شخصية هامة، يُخشى عليه من أي شيء.

كان «أحمد» يتابع حوارهم. نظر له «باسم» وقال: إن أمر الاستدعاء، ركَّز على أهمية عنصر الوقت في مغامرتنا. ومع ذلك فإنني أرى أن وقتًا طويلًا يمر، دون أن نتحرك!

ابتسم «أحمد» وقال: أظن أن رقم «صفر» يقدر ذلك جيدًا. ولو كان يعرف أننا يجب أن نرحل الآن ما انتظرنا كل هذه الفترة!

سألت «زبيدة» وهي تنظر إلى «أحمد»: حتى الآن، لم تقل لنا رأيك فيما سمعت!

ابتسم «أحمد» وقال: إن ما سمعته من شريط التسجيل، ثم من حواركم، يكاد يفسِّر تمامًا طبيعة المغامرة. فقد اقتربتم فيما أظن من موضوعها.

أسرع «قيس» يقول: لقد تحدَّثتِ الجَدَّة أيضًا عن أزمات يُصاب بها «مازني». أظن أن هذه مسألة هامة. فهي تحاول أن تَثنيَه عن قيادة السيارة، مع أن المسافة ليست طويلة؛ فهي نحو خمسين كيلومترًا! سكت لحظة، ثم أضاف: ما هي هذه الأزمات؟

ثم أجاب: هي أزمات صحية بالتأكيد، قد تكون أزمات قلبية أو صدرية حتى تمنعه من القيادة.

استغرقوا في التفكير إلا أن «أحمد» أضاف: إن أي أزمات حادة، يمكن أن تمنع الإنسان من قيادة السيارات، بالإضافة إلى أنه إذا كان يُعالَج بأدوية مهدئة، أو مخدِّرة، فإن القيادة تكون مخاطرة، إن لم تكن كارثة على صاحبها.

فجأةً، جاء رقم «صفر» يقول: يسعدني أنكم اقتربتم تمامًا من معظم تفاصيل المغامرة، وهكذا يجب أن يفكِّر الشياطين، وأن يصلوا لاستنتاجات صحيحة ...

ارتفع صوت أقدامه وهو يقترب حتى توقَّف، ثم قال: «مازني»، أو دكتور «مازني»، شخصية علمية هامة؛ لأنه يقوم بتجارب خاصة لزراعة الصحراء والدول العربية، هي التي تتولَّى الإنفاقَ على هذه التجارب. وأنتم تعرفون أن الصحراء تُمثِّل جزءًا كبيرًا من مساحة المنطقة العربية، خصوصًا في السعودية ومصر والمغرب والجزائر، وليبيا. ولو أن د. «مازني» حقَّق انتصارًا في تجاربه فإن المنطقة سوف تكون أكبر بلاد العالم إنتاجًا للغذاء. أنتم تعرفون أيضًا أن معظم بلاد المنطقة تعتمد في غذائها على منتجات غربية.

سكت رقم «صفر» لحظة، كان الشياطين يستمعون باهتمام إلى أن د. «مازني» هذا يعتبر هدفًا عربيًّا فعلًا حتى لو كان أجنبيًّا، فتجاربه الزراعية سوف تغيِّر من طبيعة المنطقة كلها تمامًا.

جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن تجارب دكتور «مازني» تصل الآن إلى مرحلتها الأخيرة. وهو سوف يذهب في مهمة علمية في النمسا لإجراء آخر تجاربه ...

سكت رقم «صفر» لحظة، ثم قال: أعتقد أنكم فهمتم ماذا سيحدث، ما دام «مازني» يمثل هذه الأهمية للمنطقة العربية. وأنتم تعرفون المؤامرات التي يصنعها الآخرون ضد منطقتنا!

مرة أخرى صمت رقم «صفر». نظر الشياطين إلى بعضهم. فقد فهموا طبيعة المغامرة، أو اقتربوا من صورتها، قطع تفكيرَهم صوتُ الزعيم يقول: لقد عرفت عصابة «اليد الحديدية» بوسائلها كلَّ شيء، وعرفت أنَّ د. «مازني» سوف يرحل من «المجر» إلى «النمسا» بسيارته، أي أنه سوف يكون بلا حراسة، وسوف يصطحب معه ابنه وابنته ...

مرَّت لحظة قبل أن يقول: إنني أعرف أن هناك أسئلةً كثيرة تدور في رءوسكم الآن، وعندما أكمل حديثي، سوف تجدون الإجابة، خصوصًا وأنكم في حواركم معًا قد اقتربتم من الحقيقة كثيرًا ...

مفاجأة غير متوقعة

كان الشياطين يفكرون: إن هذه مغامرة عادية، قاموا بمثلها عشرات المرات، ولهذا ستكون مغامرة بسيطة. وإذا كانت مسافة الخمسين كيلومترًا سوف تحكم المغامرة هذه المرة، فهذه ليست مسألة شاقة ولا شائكة، فهم يستطيعون أن ينهوا المغامرة قبل أن تنتهيَ المسافة ... قطع أفكارهم صوت رقم «صفر» يقول: إن المغامرة فيها جانب إنساني هام. هو وجود ابنه «جون»، وابنته «جان ماري» في السيارة. فالعصابة تستطيع أن تضغط على د. «مازني»، عن طريق ابنه وابنته. وهو كأبٍ لن يستطيع إلا الخضوع لطلبات العصابة. إن أي إنسان يمكن أن يضحيَ بنفسه ببساطة، لكنه لا يستطيع أن يضحيَ بأولاده، بنفس البساطة!

سكت رقم «صفر» قليلًا، ثم أضاف: تصوَّروا معي لو أن العصابة طلبَت من «مازني» أن يسلِّمها نتيجةَ أبحاثه الخاصة بالأرض نفسها، كأن يضع فيها موادَّ كيماوية، يمكن أن تغسل الأرض، أو تؤثِّر على الناس. ماذا يمكن أن يفعل د. «مازني»؟ إنه ببساطة يمكن أن يرفض، تبعًا لأمانته العلمية، وحتى لو عذبوه، فإنه يستطيع أن يرفض أيضًا. تصوروا معي كذلك، لو أنهم عذَّبوا ابنه «جون» أو ابنته «جان ماري»، أمام عينيه. هل يستطيع أن يتحمل صورتهما؟ لا أظن!

صمت رقم «صفر»، وترك هذه الكلمات تفعل فِعْلها في الشياطين، الذين تأثَّروا بالصورة التي رسمها رقم «صفر» لهم. بعد قليل، أكمل رقم «صفر»: أريد أن أكمل لكم صورة الموقف كله، خصوصًا فيما يتعلق بالدكتور «مازني» وابنه «جون» وابنته «جان ماري»، وقد سأل «مصباح» في حواره معكم، وقال إنه يبدو أن أم الطفلين ليست موجودة، وهذا صحيح، فهما يعيشان مع والدهما، وجدتهما أمُّ د. «مازني»، أمَّا والدتهما فقد تُوفِّيت منذ فترة. وهذا ما يجعل د. «مازني» يصحبهما معه كثيرًا، حتى يُسرِّيَ عنهما.

عندما سكت رقم «صفر»، كان الشياطين يشعرون بحزن عميق من أجل «جون» و«جان ماري»، ربما أكثر من حزنهم من أجل د. «مازني»، لقد رأى رقم «صفر» علامات الحزن على وجوه الشياطين؛ ولذلك أسرع يقول: إنَّ هناك نقطة هامة خاصة بالدكتور «مازني». وأنتم أيضًا قد تعرَّضْتم لها في حواركم. بجوار أنها جاءت على لسان الجَدَّة في حديثها إلى د. «مازني». فقد تحدثت عن أزمات تصيب الدكتور، وقالت: إن الطبيب يمنعه من ممارسة قيادة السيارات ... حتى لا تفاجئه الأزمة وهو يقود السيارة، فتكون كارثة. أنتم طبعًا تحدثتم عن أزمات صحية كثيرة يمكن أن تصيب الإنسان. والمسألة بالتحديد، أن د. «مازني» قد تعرَّض لمرض في القلب، جعله يصاب بأزمات قلبية. صحيح أنه عُولج منها. لكنه لا يزال مُعرَّضًا لخطرها. ولذلك فالطبيب يمنعه من أيِّ انفعال؛ لأن أيَّ درجة عالية من الانفعال يمكن أن توديَ بحياته ...

سكت رقم «صفر» مرة أخرى ... ومرَّت دقائق، كان الشياطين خلالها ينظرون إلى بعضهم وكانت نظراتهم تعني أنها فعلًا مسألة شائكة. قطع أفكارَهم صوت رقم «صفر» يقول: إن د. «مازني» لو وقع في أيدي العصابة فمن المؤكد أنه سوف يتعرَّض لدرجة انفعال عالية، قد تكون سببًا في نهاية حياته. الأمر الثاني — وهو الخاص بكم — أن تُؤمِّنوا طريق د. «مازني» حتى تنتهيَ رحلته إلى «فيينا» دون أن يشعر بشيء ...

سكت لحظة، ثم أضاف: إن لديكم أسلحتكم التي تستطيعون بها إنهاء المغامرة، دون صوت لطلقة رصاص واحدة ... لأنه إذا سمع صوت طلقات رصاص ... فإنه سوف يتعرض لأزمة قلبية ...

مرة أخرى، انتظر رقم «صفر» بعض الوقت، ثم قال: أظنكم الآن قد عرفتم كل تفاصيل المغامرة. وهي مغامرة — كما أرى — شديدة الصعوبة. وإن كانت ليست صعبةً على الشياطين. ومرة أخرى أقول: إن نسبة الخطأ ليست واردةً أبدًا في أيِّ تصرُّف؛ لأن الخطأ يعني فشل المغامرة!

انتظر لحظة، ثم قال: إن د. «مازني» سوف يغادر بيته غدًا في الساعة الرابعة عصرًا وأمامكم ما يكفي للوصول في الموعد المناسب، فنحن ما زلنا أول النهار، وسوف تجدون خريطةً لبيت د. «مازني»، وخريطة أخرى للمنطقة. سكت لحظة أخرى، ثم قال: هل من أسئلة حول المغامرة!

انتظر بعض الوقت، لكن أحدًا من الشياطين لم ينطق بكلمة، فقد كانوا جميعًا مأخوذين، لطبيعة هذه المغامرة المثيرة، والغريبة معًا ...

جاء صوت رقم «صفر» يقول: سوف يقوم بالمغامرة: «أحمد»، «عثمان»، «رشيد»، «قيس» أتمنى لكم التوفيق.

أخذ صوت أقدام رقم «صفر» يبتعد شيئًا فشيئًا، حتى اختفى تمامًا ... نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم أخذوا ينصرفون. وكان «أحمد» آخر من غادر القاعة، وفي الممر الطويل المؤدي إلى غرفهم، كان «عثمان» و«رشيد» و«قيس» في انتظاره. قال «أحمد» بسرعة: ينبغي أن نغادر المقر بعد ربع ساعة؛ فرحلة الطيران طويلة!

وبسرعة انصرفوا إلى غرفهم. عندما دخل «أحمد» الغرفة وجد مظروفًا على مكتبه ... فعرف أنه يضمُّ الخرائط، وربما تعليمات جديدة للزعيم. فتح المظروف وألقى نظرة سريعة على ما بداخله ... لم يكن هناك سوى خريطتين. فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال لنفسه: إن هذه منطقة باردة. وقد تهبُّ الرياح العاصفة. وقد تسقط الثلوج، لذلك ينبغي الحرص ...

بسرعة رفع سماعة التليفون وتحدَّث إلى رفاق المغامرة يُحذِّرهم من الملابس الخفيفة. وقال في نهاية حديثه: ينبغي أن تكون الملابس بيضاء. فهذا سوف يعطينا فرصة التمويه أكثر.

وعندما وضع السماعة ابتسم؛ فقد تذكَّر «عثمان» بلونه الأسمر. وفي دقائق، كان قد جهَّز حقيبته السحرية ... ووضع فيها الطلقات الصامتة الخاصة. وكرات الدخان، والإبر المخدرة. ابتسم وهو يغلق الحقيبة قائلًا: هذه أسلحتنا الصامتة ...

ثم غادر الغرفة مباشرة. وعندما أغلق الباب. كان الشياطين الثلاثة؛ «عثمان» و«رشيد» و«قيس»، يمرُّون أمام الباب، فانضم إليهم، وفي الطريق إلى «الجراج» وقفوا عند أول مصعد، ثم استقلُّوه إلى طابَقٍ تحت الأرض. ومن هناك، خطَوْا خطواتٍ إلى حيث تقف السيارة. وفي دقائق، كانوا يغادرون «الجراج» منطلقين إلى خارج حدود المقر السري. فُتحت الأبواب في هدوء، فمرت السيارة بسرعة، وانطبقت الأبواب مرة أخرى، بلا صوت أيضًا ... كان «رشيد» فقط الذي يراها في مرآة السيارة.

بدا الخلاء أمامهم ممتدًّا بلا نهاية. وكانت السيارة تنطلق في سرعة رهيبة. كان الشياطين مستغرقين في أفكارهم حول المغامرة، وذلك المعنى الإنساني الذي أحزنهم كثيرًا، غير أن «عثمان» قطع الصمت قائلًا: مغامرة مثيرة!

أضاف «رشيد»: مغامرة بلا صوت!

قال «قيس»: إذا كان الخطأ غير وارد بالنسبة لنا ... فماذا نفعل بالنسبة لهم!

ردَّ «أحمد»: هذه هي صعوبة المغامرة. إن علينا أن نُنهيَ المغامرة في صمتٍ، وأظن أنها ليست صعبة، فنحن نستطيع أن ننتهيَ منها، فعلًا دون أية حركة، حتى دون أن

يشعروا هم بشيء. لا د. «مازني» ... ولا العصابة نفسها. إن ما تحمله من أسلحة يمكن أن يُنهيَ المغامرةَ كما نريد.

مرَّت فترة أخرى، لفَّهم خلالها الصمت، ولم يكن يصدر صوت سوى صوت الموتور الرتيب. لكن «رشيد» قال بنبرة حزن: لقد حزنت تمامًا من أجل «جون»، و«جان ماري»!

فأضاف «قيس»: نعم، خصوصًا هذه الصورة التي رسمها رقم «صفر»، لإمكان وقوعهما في يد العصابة ...

قال «عثمان»: هي احتمالات على كل حال!

ردَّ «رشيد»: لكنها احتمالات حزينة، ومؤلمة أيضًا.

ولم يكن هناك ما يقال بعد ذلك، فغرقوا في صمت جديد ... وانقضت الساعات، حتى ظهر المطار من بعيد، وعندما وقفت السيارة في مكانها المعتاد، قفزوا منها إلى حيث صالة المطار. وفي شركة الطيران، كانت تذاكر السفر في انتظارهم. حصلوا عليها، ثم اندسُّوا بين جموع المسافرين، في انتظار عودتهم. ذهب «أحمد» كعادته إلى باعة الصحف، فاشترى ما يريده.

فجأةً تردَّد في صالة المطار، صوت المذيعة الداخلية تدعو المسافرين إلى «بودابست» فأسرعوا، وتجاوزوا الحاجز إلى حيث صالة المطار الداخلية ولم تمضِ دقائق، حتى كانوا يأخذون طريقهم إلى الطائرة. واختاروا مقاعد متجاورة. فلم يكونوا في حاجة لأحد. إن المغامرة كلها بتفاصيلها عندهم، ولا يحتاجون إلى المزيد.

دقائق، وبدأت محركات الطائرة في الدوران، ثم بدأت حركتها فوق الأرض، ثم إلى الفضاء، حتى أخذت مسارها فيه. نظر «أحمد» من النافذة، يرى صور الأشياء ... من هذا الارتفاع، كانت تبدو البيوت وكأنها علب الكبريت. والسيارات وكأنها حشرات صغيرة تتحرك ... والشوارع كأنها خطوط مرسومة بالقلم الرصاص. وعندما ارتفعت الطائرة تمامًا، وتجاوزت السحاب، لم يكن يظهر سوى قطع السحاب المتناثرة، وكأنها أكوام من القطن الأبيض سابحة في الفضاء. كانت الطائرة في هذه اللحظة على ارتفاع ٣٣ ألف قدم فوق سطح البحر. استغرق «أحمد» في قراءة الصحف. وتوقَّف عند تحقيق صحفي حول زراعة الصحراء، وتجاربها في أماكن كثيرة من العالم. أخذه التحقيق، حتى إنه لم يسمع «عثمان» الذي كان يجلس بجانبه، وهو يسأل: متى سنصل إلى «بودابست»؟

ولما لم يرد «أحمد» ابتسم «عثمان». ولم يكرِّر السؤال، فقد وقعت عيناه على عنوان التحقيق الصحفي: «كيف يتحول اللون الأصفر إلى لون أخضر» ... أثاره العنوان، فتمنَّى

لو أنه أخذ الصحيفة وقرأها ... لقد أصبح الاهتمام بزراعة الصحراء واحدًا من اهتمامات الشياطين.

كان الوقت ينقضي بسرعة، بالنسبة لـ «أحمد» بالذات. فقد استمرَّ يقرأ. وكأنه لا يريد أن يترك نفسه لأي أفكار أخرى. في نفس الوقت استغرق «عثمان» هو الآخر في قراءة التحقيق الصحفي. وفجأةً جاء صوت مذيعة الطائرة تقول: أهنئكم بالوصول. وأرجو أن تربطوا الأحزمة، وأن تمتنعوا عن التدخين؛ لأننا سننزل مطار «بودابست» بعد قليل!

أخذ الركاب يربطون الأحزمة، ويميلون على النوافذ؛ ليروا منظر المطار من الجو. فجأةً، جاء صوت مذيعة الطائرة يقول: لقد تعرَّض المطار لعاصفة شديدة الآن، لن نستطيع الهبوط!

نظر الركاب إلى بعضهم. كان الخوف يملأ الوجوه. غير أن صوت المذيعة قال: أرجو ألا يصيبكم هذا بأي خوف، إن هذه مسألة عادية نتعرض لها كثيرًا ...

نظر «أحمد» من نافذة الطائرة فرأى قطع الثلج الصغيرة، وهي تقطع ضوء النهار. في نفس الوقت، كان صوت ارتطام الثلج بجسم الطائرة يبدو واضحًا. ابتسم «أحمد» وقال لنفسه: مغامرة لم تكن لنا على بال.

ظلَّت الطائرة تدور حول مطار «بودابست». فكر «أحمد»: هل سيستمر ذلك كثيرًا؟

قال «عثمان» هامسًا، حتى لا يسمعه أحد من الركاب، فيصاب بالفزع: ماذا لو فرغ وقود الطائرة؟

نظر له «أحمد» وقال: أظن أنهم يفعلون ذلك الآن، حتى لا تصاب الطائرة فجأةً ... وهذه على كل حال مسألة عادية!

ألقى «أحمد» نظرة على الركاب، كانوا جميعًا صامتين، وكأنهم قد تجمَّدوا فجأةً.

مغامرة مفاجئة في الفضاء

قال «أحمد» في نفسه: هل يمكن أن تنتهيَ المغامرة هكذا في الفضاء؟

لكنه ابتسم. فهذه ليست أول مرة يقابل فيها الشياطين مثل هذه المفاجآت ... نظر إلى «البراشوت» الموجود أسفل مقعد الطائرة، ثم ابتسم قائلًا لنفسه: سوف نهبط للعصابة من الفضاء ...

لاحظ «عثمان» ذلك، فقال: أراك تبتسم.

رد «أحمد»: نعم. إن أحسن مقابلة للمفاجآت أن تبتسم لها!

فجأةً، جاء صوت مذيعة الطائرة يقول: سوف نُضطرُّ للهبوط في مطار «سوبرون»؛ فإن العاصفة هنا تشتد بشكلٍ لا يجعلنا نستطيع الهبوط!

لمعت أعين الشياطين، وهمس «رشيد»: مَن يصدق؟

ردَّ «قيس»: مفاجأة جديدة، ويبدو أننا نقوم بمغامرة كلها مفاجآت ...

قال «عثمان»: إنني لا أصدق، كان المفروض أن ننزل في مطار «بودابست»، ثم نسافر إلى «سوبرون»!

ابتسم «أحمد» وقال: لقد اختصرنا الرحلة، وها نحن نذهب إلى «سوبرون» رأسًا ...

لم تكن المسألة متوقَّعة أبدًا؛ ولذلك شعر الشياطين أن التوفيق سوف يلازمهم في هذه المغامرة، ما دامت الظروف تلعب في صالحهم. لم تستغرق الطائرة وقتًا طويلًا. كان الركاب قد هدءوا بعض الشيء. بعضهم استغرق في صلاة صامتة. وبعضهم كان يتحدَّث إلى الجالس بجواره همسًا. أما الشياطين فقد كانت ملامح السعادة تملأ وجوههم. اقترب أحد الركاب من «عثمان» وهمس بكلمات مترددة: هل كل شيء على ما يرام؟

ابتسم «عثمان» ابتسامة عريضة توحي بالراحة، ثم أجاب: نعم يا سيدي. كل شيء على ما يرام، وسوف تهبط الطائرة في مطار «سوبرون»، ثم نأخذ طريقنا بالسيارات إلى «بودابست» مرة أخرى ...

قال الراكب: إنها رحلة شاقة، فالمسافة طويلة بالإضافة إلى أن العواصف الثلجية يمكن أن تجعل الطريق خطرًا ...

ابتسم «عثمان» وقال: إذن، نقضي الوقت في «سوبرون» حتى يتحسَّن الجو، ثم نعود مرة أخرى!

ردَّ الرجل: نعم ... نعم ... يمكن أن نفعل ذلك ...

سكت لحظة ثم قال: لكن قد يكون المطار هناك أشدَّ خطورة من مطار «بودابست»!

ردَّ «عثمان»: أعتقد أن مسئولي الطيران سوف يجدون حلًّا لنا ...

ابتسم الرجل ابتسامة مترددة، وقال: نعم ... نعم أعتقد ذلك!

ثم سكت. كان «عثمان» يفكر: هل يمكن أن ينقضيَ اليوم وغَدٌ في حيرة؟ وهل يمكن أن يضيع موعد د. «مازني»؟ نظر إلى «أحمد» المستغرق في أفكاره ثم قال: هل يمكن أن يكون الجو في «سوبرون» رديئًا أيضًا، وتظل لعنة العواصف وراءنا؟

ابتسم «أحمد» وقال: أعتقد أننا سوف نجد طريقة ما ...

قال «عثمان» هامسًا: أخشى أن يفوتَنا الوقت!

ضحك «أحمد» ضحكة خفيفة وهو يقول: لا تنسَ أن كمية الوقود في الطائرة محدودة. ولا بد أن تهبط وإلا انفجرت في الجو!

تنهَّد «عثمان» وهو يقول مبتسمًا: يبدو أنني تأثَّرت بكلام الرجل!

كانت الطائرة مستمرَّة في طيرانها، وإن كان صوت الجليد مسموعًا لارتطامه بجسمها في نفس الوقت، كان هناك اهتزاز خفيف، يجعل المسألة غير مُطَمْئنة. بعد قليل جاء صوت مذيعة الطائرة تقول: إن كل شيء طيب. وأرجو إلا يُخيفكم صوتُ الجليد، أو اهتزاز الطائرة ... إن سلطات المطار في «سوبرون» تقول: إن الأحوال الجوية صالحة للهبوط.

انتشر داخل الطائرة نوع من الاطمئنان، لكن ذلك لم يستمرَّ طويلًا. ففجأةً، اهتزت الطائرة بعنف، حتى إن إحدى الراكبات صرخت، وجاء صوت المذيعة يقول: إنه مطبٌّ هوائي، وهي مسألة عادية.

كانت المذيعة تنقُل للركاب صورة طيبة للموقف. فكر «أحمد»: هل يعرض على الكابتن مساعدته؟ ... إنه يستطيع أن يهبط بالطائرة في أي مكان. فهذه تدريبات أجراها كثيرًا

في مركز الطيران بالمقر السري ... نظر إلى «عثمان» ثم قال: ألا يجب أن نقدم مساعدتنا للكابتن؟

ردَّ «عثمان» بسرعة: نعم، لماذا لم نفعل ذلك منذ البداية؟!

ابتسم «أحمد» وقال: يجب أن نتصرف بهدوء حتى لا يحدث ارتباك بين طاقم الطائرة!

وبعد قليل، غادر مكانه إلى كابينة القيادة. وعندما تجاوز الحاجز، بين أماكن الركاب وكابينة القيادة، رأى عددًا من المضيفات كُنَّ صامتاتٍ تمامًا وكأنهن يصلين. كان يبدو عليهن الاستسلام الكامل. نظر إلى كُبراهن وقال: هل أستطيع أن أتحدث إلى الكابتن؟

نظرت له المضيفة لحظة، ثم قالت: هل هناك شيءٌ هام؟

ردَّ «أحمد»: أعتقد أنه يهمنا جميعًا. فنحن — سواء الركاب، أو طاقم الطائرة — في سلة واحدة!

ابتسمت المضيفة، ثم سألت: هل هناك شيء محدد؟

قال: نعم.

قالت: هل أستطيع أن أنقله إليه؟

قال: لا أظن. هو شخصيًّا الذي يجب أن يسمعني!

نظرت لـ «أحمد» لحظة، ثم قالت: انتظر لحظة!

ثم مشتْ خطوات واختفت داخل كابينة القيادة. مرت أربع دقائق، ثم ظهر الكابتن في باب الكابينة، كان يرسم ابتسامة هادئة على وجهه، كان طويل القامة، مفتول العضلات، وسيم الملامح. اقترب من «أحمد» مباشرة، وهو يقول: إنني تحت أمرك!

ابتسم «أحمد» وقال: جئت أُقدِّم معونتي!

ابتسم الكابتن ابتسامة عريضة تمامًا، ثم قال: في ماذا؟

قال «أحمد»: إننا نتعرض جميعًا لخطر واحد.

قال الكابتن: هذه مسألة شائكة، فنحن لسنا على الأرض!

أجاب «أحمد»: أعتقد أنني أعرف ذلك.

مرت لحظة، ثم قال: أمامنا الآن نصف ساعة حتى نصل إلى مطار «سوبرون»!

علت الدهشة وجه الكابتن، ثم قال: هذا صحيح، ولكن ... ماذا يمكن أن تفعل؟

ابتسم «أحمد» وقال: سوف تكون الإجابة سهلة تمامًا، عندما تكون في كابينة القيادة!

فجأةً، خرج أحد الطيارين، وعلى وجهه علامات الفزع، وهو يحاول أن يكتم انفعاله. تردَّد قبل أن يقول: سيدي الكابتن. لقد تعطَّل أحد محركي الطائرة!

كانت مفاجأة جعلت الكابتن يكاد أن يتجمد. وبسرعة قال «أحمد»: أعتقد أنني أستطيع أن أفعل شيئًا. كاد الكابتن أن يصرخ في وجه «أحمد» الذي أسرع يقول: إنني لا أمزح، فالوقت لا يسمح بذلك.

كانت الحركة العادية للطائرة قد اختلفت، فانصرف الكابتن إلى كابينة القيادة. ولم ينتظر «أحمد»، فتبعه إليها. وعندما دخل الكابينة، كان «أحمد» يخطو هو الآخر داخلها. ثم قال قبل أن يحدث أي شيء: سيدي الكابتن. أرجو أن تعطيَني فرصةَ التصرُّف، إن هناك ثلاثة محركات أخرى تعمل، وواضح من تابلوه الطائرة أنها تعمل بكفاءة ...

نظر له الطيارون جميعًا، والكابتن أيضًا الذي قال فيما يشبه الحيرة: ماذا تريد يا عزيزي؟ نحن لا نمزح، نحن في خطر!

ابتسم «أحمد» وقال: لا أظن!

قال الكابتن: هذه كارثة فعلًا. فالجو رديء، وأحد المحركات قد تعطَّل. ماذا تريد؟

وقبل أن ينطق «أحمد» بكلمة، قال الكابتن في هذه المرة: أرجو أن تخرج بهدوء، قبل أن أستدعيَ أمنَ الطائرة!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: لا بأس ... إنني فقط عرضت خدماتي. والآن ... أعتذر!

ثم غادر غرفة القيادة. فجأةً ارتجَّت الطائرة بعنف، وبدأت الصيحات تعلو. ورغم أن صوت كابتن الطائرة هو الذي خاطب الركاب هذه المرة، يحاول أن يُطمْئنَهم، إلا أن «أحمد» لم تَعْنِه النبرة الخائفة في صوته ... فكر «أحمد» بسرعة: هل يمكن أن يظلَّ هكذا هو وركاب الطائرة. والطائرةُ نفسها، وطاقمها، عرضةٌ لهذا الخطر المستمر؟ تذكَّر في لحظة سريعة د. «مازني» وقال في نفسه لو أنه معنا وتعرَّض لهذا الموقف فإن الأزمة القلبية كانت كفيلةً بأن تقضيَ عليه.

كان الشياطين قد اقتربوا من «أحمد»، فسأل «رشيد»: ماذا حدث؟

ردَّ «أحمد»: رفض الكابتن أن أساعده!

فجأةً مرة أخرى، ارتجَّت الطائرة. كان يبدو أن العاصفة بالخارج قد ازدادت سوءًا، وأن الطائرة تتعرض للمخاطر الآن، خصوصًا وأن أحد محركاتها قد تعطَّل.

سأل «قيس»: هل الموقف خطير ... إنني أعتقد أنهم يتعرضون لمثل هذه الحالات كثيرًا!

نقل «أحمد» إليهم الموقفَ كاملًا، فظهر الاهتمام على وجوههم، وعندما انتهى من كلامه، قال «رشيد»: ينبغي أن نتدخل. إن أي خطأ يمكن أن يقضيَ على الجميع، وقد لا يهمنا الأمر كثيرًا. إلا أن المهمة التي نحن في الطريق إليها تهم منطقتنا كلها!

سأل «أحمد»: ماذا تعني بقولك يجب أن نتدخل؟

ارتجَّت الطائرة من جديد، وارتفع الصراخ أكثر، وبدأ البكاء يعلو، فقال «رشيد»: نتدخل بالقوة!

التقت أعين الشياطين، وقال «قيس»: ماذا تعني؟

ردَّ «رشيد»: أن نكون المسئولين عن الطائرة، ولو بالقوة المسلحة!

قال «أحمد»: إن ذلك سوف يفزع الركاب أكثر، وهذه مسألة خطرة!

ردَّ «رشيد»: لا بأس أن يكون ذلك عند غرفة القيادة.

جرى حوار سريع بين الشياطين، اتفقوا في النهاية على تنفيذ الخطة التي قرروها. وبسرعة، تقدَّموا من الكابينة ووقف «أحمد» في المقدمة. أزاح الستار الفاصل بين أماكن الركاب، وبين طاقم الطائرة. كان قد أخرج مسدسه، ومثله فعل الشياطين وقال بصوت حازم: ينبغي أن تكون الطائرة مسئوليتنا الآن!

ولم تكن الإجابة سوى هزة عنيفة أوقعت بعض طاقم الطائرة، ونظر الكابتن بسرعة إليهم، فرأى المسدسات في وجهه، قال بلهجة حاول أن تكون ودية: بحق الله، ماذا تريد؟

قال «أحمد» بحزم: أريد أن أنقذَ الموقف الخطير الذي نحن فيه!

قال الكابتن: هذه ليست تسلية!

صرخ فيه «رشيد»: اخضع للأمر، وإلا فإنك ستفقد حياتك!

ولم يكن أمام الكابتن إلا أن يترك مكان القيادة لـ «أحمد» الذي نظر إلى الشياطين قائلًا: ينبغي أن يجلس الركاب بطريقة منظمة، وألا يتكتَّلوا في مكان واحد، حتى لا تفقد الطائرة توازنها.

انصرف «رشيد» و«عثمان»، وبقيَ «قيس» في حراسة طاقم الطائرة. كان الكابتن مأخوذًا لهذا الأمر الذي أصدره ... وتعلَّقت عيناه بـ «أحمد» وهو يبدأ في ممارسة مسئوليته الخطيرة.

مغامرة في مهب الريح

لقد كان الموقف صعبًا فعلًا، سواء في الوقت الذي يمرُّ، أو في حالة الطائرة ... إلا أن ذلك لم يُفقِد الشياطين الأمل. كان «أحمد» قد جلس إلى مقعد القيادة، وبدأ يتعامل مع الموقف، في الوقت الذي كان طاقم الطائرة يراقبه، وهو يهبط بالطائرة، درجة درجة، في ثقة كاملة. مدَّ يده وفتح خط الحديث مع مطار «سوبرون».

قال «أحمد»: هنا طائرة الركاب القادمة إلى «سوبرون»، والتي لم تستطع أن تهبط في «بودابست». ما الموقف الآن؟

جاء صوت مراقبة المطار يقول: إنَّ الجو رديء، لكن المطار يسمح بالهبوط. ما هو الموقف عندكم؟

ردَّ «أحمد»: لقد تعطَّل المحرك رقم ٣، ونحن نطير بثلاثة محركات فقط. لكن الموقف ليس رديئًا!

قال مراقب المطار: مَن الذي يتحدث؟

نظر «أحمد» بسرعة إلى الكابتن، فأدرك ماذا يريد. أسرع الكابتن يردُّ: كابتن «كرون» هو الذي يتحدث!

قال مراقب المطار: سوف تهبط في الممر رقم ٦، حتى تكون بعيدًا عن المبنى. فهناك طائرات أخرى اضطرت للهبوط عندنا. سوف يكون كل شيء في انتظاركم. أعتقد أن المسألة ليست خطيرة.

ردَّ «أحمد»: نشكرك.

ظلَّ خط الاتصال مع برج مراقبة مطار «سوبرون» مفتوحًا. وكانت التعليمات مستمرة. نظر «أحمد» إلى عداد المسافة فعرف أنه بعد ربع ساعة، سوف يكون فوق مدينة

«سوبرون». بدأ يهبط بالطائرة أكثر، حتى يكون مستعدًّا للنزول في المطار، وعندما لمعت أضواء المطار، قال الكابتن: هل تسمح لي الآن؟

لم ينظر له «أحمد» في نفس الوقت الذي قال فيه «قيس» ومسدسه في يده: ينبغي أن تلزم الهدوء!

همس الكابتن: إننا مقبلون على اللحظة الحرجة!

كان الفزع يُغطِّي وجه الكابتن. في حين لزم باقي طاقم الطائرة الصمت، واستغرق أحدهم في صلاة هامسة.

ابتسم «قيس» وقال: يا سيدي، نحن لا نعرف اللحظات الحرجة!

ظهرت الدهشة على وجه الكابتن، وهمس: ماذا تعني؟

ردَّ «قيس» بنفس ابتسامته: أعني ما قلته، وينبغي أن تهدأ الآن وراقب الزميل، فهو يحمل أعلى شهادات الطيران!

مرة أخرى، ظهرت الدهشة على وجه الكابتن، ولزم الصمت. كانت أضواء المطار تقترب أكثر فأكثر، وجاء صوت مراقب المطار يقول: أنت الآن، في وضع جيد. يمكنك الاتجاه إلى الممر رقم ٦، والله معك!

ردَّ «أحمد»: أشكرك، وأعتقد أننا سوف ننزل في سلام!

دار «أحمد» دورة كاملة حول المطار، حتى إذا ظهرت إشارات الضابط الأرضي، بدأ ينفذ تعليماته. أنزل عجلات الطائرة، لكن الإشارات في تابلوه الطائرة سجَّلت شيئًا مثيرًا. إن إحدى العجلات لم تنزل. صاح الكابتن: هذه كارثة محققة!

قال «أحمد» يخاطب برج المراقبة: إن إحدى العجلات تعطَّلت!

جاءه رد برج المراقبة: ماذا سوف تفعل الآن؟

أجاب «أحمد»: سوف أنتهي من إنفاد الوقود، حتى لا نتعرض لكارثة فعلًا.

مرة أخرى أخذ يدور حول المطار. في الوقت الذي لاحظ فيه الاستعدادات؛ سيارة حريق، وسيارة إسعاف، وعشرات من رجال المطار. قال في نفسه: هي فعلًا كارثة. لكن أرجو أن يوفِّقني الله في الهبوط بسلام.

نظر إلى مؤشر الوقود وكان يتجه إلى النقطة صفر ... أبطأ الطائرة أكثر، ثم أخذ اتجاه الممر المحدد وهو رقم ٦، ثم مال بالطائرة بزاوية تسمح لها بالاعتماد على عجلتين فقط؛ الأمامية، والخلفية، وبهدوء لامس أرض المطار المبتلة بماء المطر ... كان طاقم الطائرة كله مشدودًا في هذه اللحظة، وعيونه على «أحمد» وقد ركز انتباهه تمامًا. ظل يحكم الطائرة وهي تنزلق فوق الممر بسرعة، لكنه قلل سرعتها حتى توقَّفت.

أخيرًا عند نهاية الممر. فجأةً قفز الكابتن، يحتضن «أحمد» وهو يقول: أنت طيار بارع!

ابتسم «أحمد»، ووقف مغادرًا المقعد، فالتفَّ حوله الطيارون يهنئونه، وابتسم «قيس» يقول: لقد كنت رائعًا!

ثم شدَّ على يده، خرج «أحمد» إلى حيث كان الركاب لا يزالون في أماكنهم، وكأنهم لا يصدقون ما حدث، في نفس الوقت الذي كانت فيه بعض النسوة يبكين من الفرح. أما «عثمان» و«رشيد» فإنهما رفعا أيديهما بعلامة النصر. وفي دقائق، كان الشياطين يغادرون الطائرة تحت عاصفة المطر، وهمس «أحمد»: يبدو أن المغامرة لن تتم. وأظن أن د. «مازني» لن يجازف بالسفر مع ولديه في هذا الجو العاصف!

ردَّ «عثمان»: مَن يدري، قد يتحسن الجو حتى الغد!

كانت الطائرة تقف عند طرف المطار؛ ولذلك فقد كان عليهم أن يستقلُّوا إحدى سيارات المطار إلى بوابته.

كان عدد كبير من رجال المطار يلتفُّون حول الطائرة. في الوقت الذي أقبل فيه عدد من المهندسين، يعاينون الطائرة لكي يروا الأعطال التي حدثت لها، والتي لولا براعة «أحمد» لكانت كارثة حقيقية قد وقعت …

قطع الشياطين صالة المطار بسرعة. وفي خارجه كان الثلج قد بدأ يتساقط. كان الليل قد هبط منذ حوالي ساعة، وانعكاس الضوء فوق أرض الشارع يعطي انطباعًا جميلًا. وهناك، قريبًا من بوابة المطار، كانت سيارة في انتظارهم. ركبوا بسرعة … فأخذتهم إلى أكبر فنادق المدينة، واسمه فندق «الحرية» عندما ضمتهم حجرة «أحمد» …

قال «رشيد»: لماذا لا يقوم أحدنا بزيارة د. «مازني» وثَنْيِه عن السفر غدًا!

ردَّ «قيس»: لا أظن أننا سوف نفعل ذلك؛ فمن المؤكد أن بيت د. «مازني» مراقَبٌ تمامًا، وربما تحت التسجيل والتصوير!

قال «عثمان»: ولماذا لا تكون تجربة؟ إن هذا الجو يُتعب د. «مازني» بجانب أنه سوف يجعل من المشكلة مشكلتين!

نظروا إلى «أحمد» الذي قال: ربما لو تحدثنا إليه تليفونيًّا، يكون أفضل. وإن كنت أظن أن تليفونه مراقب أيضًا …

قال «قيس»: أعتقد أن علينا أن ننتظر حتى الغد … إن الجو هو الذي سيحدد موقفنا تمامًا.

سكت لحظةً ثم أضاف: إذا كانت معرفتنا لموقف د. «مازني» ضرورية، فعميل رقم «صفر» هنا يستطيع أن يقوم بالمهمة.

قال «أحمد»: هذه فكرة صائبة.

وبسرعة. رفع سماعة التليفون، وأدار القرص، فجاء صوت العميل يقول: لقد كنت أنتظر هذه المكالمة أمام هذا الجو العاصف.

ثم قال بسرعة: مرحبًا بكم هنا ...

قال «أحمد»: نشكرك. هل هناك أنباء جديدة؟

رد العميل: لا ...

سأل «أحمد»: هل يمكن الاتصال بدكتور «مازني» لمعرفة خطته في السفر، إن كان سيسافر أو أنه سوف يؤجِّل الرحلة؟

مرت لحظة صمت، ثم قال العميل: هذه فكرة طيبة. سوف أتصل بكم بعد ربع ساعة!

وضع «أحمد» السماعة، بينما نزع «قيس» جهازًا، يجعل صوت الطرف الآخر مسموعًا للجميع، وقال «رشيد»: نرجو ألا يفاجئنا بقرار غريب!

تساءل «عثمان»: ماذا تعني؟

ردَّ «رشيد» وهو يبتسم: أن يقرر السفر الليلة!

ابتسم الشياطين، وقال «أحمد»: هذه دعابة بالتأكيد. إنني أظن أنه سوف يؤجل الرحلة نهائيًّا، حتى يعتدل الجو!

أخذوا يناقشون الموقف من جميع زواياه. وفجأةً دقَّ جرس التليفون. وعندما رفع «أحمد» السماعة، كان «عثمان» قد ثبَّت جهاز الاستماع في جانب التليفون، جاء صوت عميل رقم «صفر» يقول: حسب المعلومات التي حصلت عليها، فإن د. «مازني» لا يزال على نفس قراره، حتى لو كانت العاصفة أكثر قوة. فهو مرتبط ببرنامج عملٍ مع مجموعة عمل. لا بد أن يبدأ في موعده.

ردَّ «أحمد»: إذن فخطتنا كما هي.

قال العميل: بالتأكيد.

ثم أضاف بعد لحظة: يمكن أن أنقُل إليكم جانبًا من حياة الدكتور هذه الليلة في منزله!

ظهرت الدهشة على الشياطين، وقال «أحمد»: سوف يكون ذلك عملًا مدهشًا يا صديقي!

قال العميل وفي صوته بسمة خفيفة: هل تكفيكم ساعة؟

ثم قال بسرعة: إن عندكم جهاز فيديو في الغرفة، وسوف أرسل لكم شريطًا عن الساعة القادمة في بيت الدكتور!

ثم وضع السماعة. فجأةً، انفجر الشياطين في الضحك، وقال «رشيد»: هذا شيء رائع؛ سوف نكون مع الدكتور في بيته بعد ربع ساعة.

انقضت الساعة في أحاديثَ متفرقة. فهم لا يستطيعون الحديث في المغامرة. فاحتمالاتها قد تتغير في أي لحظة. وعندما انقضت الساعة، دقَّ جرس التليفون من جديد. وجاء صوت العميل يقول: الشريط في الطريق إليكم.

ولم تمضِ عشر دقائق حتى كانت طرقة خفيفة تدق الباب، فأسرع «عثمان» إليه، وعندما فتحه، امتدت يد بشريط فيديو، دون أن يسمع «عثمان» أية كلمة. أخذ الشريط، ثم ابتسم وأغلق الباب، وبسرعة، كان يضع الشريط في جهاز الفيديو، وجلس الشياطين أمامه يشاهدون ما فيه، ويعيشون ساعة في بيت د. «مازني» …

كان الشريط يبدأ باستعراض للصالة التي يجلس فيها د. «مازني» ووالدته، و«جون» ابنه، وابنته «جان ماري» … كانوا يجلسون أمام مدفأة. كان د. «مازني» يقترب سنُّه من الخامسة والستين. وكانت والدته عجوزًا جدًّا، حتى إن «رشيد» قال: إن السيدة يبدو أنها قد تجاوزت الثمانين. مع ذلك، فصحتها جيدة.

قطع كلامَه صوتُ الجَدَّة تقول: «مازني»، ينبغي أن تؤجل سفرك. إن العاصفة شديدة، ومَن يدري، قد تزداد في الطريق …

ابتسم «جون» وهو ينظر لوالده وقال: إنها ستكون مغامرة جيدة يا جَدَّتي، ثم إن سيارتنا لا تتعطل أبدًا، وفيها كل الأجهزة الضرورية لمثل هذا الجو.

سكت لحظة، وقد نظرت له جَدَّته، فابتسم قائلًا: ينبغي أن تفكري في القيام بالرحلة معنا؟!

ابتسم د. «مازني» وقال: إن العمل يا أماه لا ينتظر أحدًا. هذه مسألة هامة جدًّا!

هزَّت رأسها، وقد اكتسى وجهها بالحزن، فابتسم د. «مازني» وقال: لا بأس، نؤجل ذلك للغد، ومَن يدري ماذا سيحدث …

أسرع «عثمان» يوقف الشريط. وقال: هذا يعني أن الرحلة قد لا تتم … والمغامرة أيضًا!

سيارة تقوم بكل العمل

نظر الشياطين إلى بعضهم. فكلمات د. «مازني» الأخيرة، يمكن أن تؤجل كل شيء بل إن العصابة يمكن أن تضع خطة أخرى لا يعرفونها، وبذلك يمكن أن يفشل كل شيء.

قال «قيس»: ماذا نفعل الآن!

قال «رشيد» ليس أمامنا سوى الانتظار!

قال «عثمان»: هذه كارثة أقوى من كارثة الطائرة!

قال «أحمد»: أظن أن د. «مازني» قال ذلك حتى لا يُغضِب أمَّه ويمكن أن يُفيدَنا الشريط، ونرى مرة أخرى.

أسرع «عثمان» بإعادة شريط التسجيل إلى الوراء قليلًا، ثم ضغط زرَّ التشغيل. كانت الجَدَّة تهز رأسها في حزن، فابتسم د. «مازني» وهو يقول: لا بأس. سوف نؤجل ذلك للغد. ومَن يدري ماذا سيحدث!

أوقف «عثمان» شريط التسجيل، فقال «أحمد»: هل رأيتم؟! إن كلمات د. «مازني» كانت من أجل أمه ... عندما رأى وجهها وقد اكتسى بالحزن.

قال «رشيد» بعد لحظة: نحن في النهاية لا نستطيع أن نقول رأيًا نهائيًّا؛ فما زلنا تحت رحمة الطبيعة.

أكمل الشياطين مشاهدة الشريط. ورأوا كيف يتعامل د. «مازني» مع ولديه في رقة، كانت الأسرة تبدو نموذجية تمامًا، حتى برغم عدم وجود الأم.

فقال «قيس»: حرام أن تحرم العصابة هذه الأسرة سعادتها.

عندما انتهى الشريط، دقَّ جرس التليفون فجأةً، فقال «عثمان»: لا بُدَّ أنه عميل رقم «صفر»، فمَن يعرفنا هنا؟

عندما كان «أحمد» يرفع السماعة، كان «رشيد» يرد على «عثمان» مبتسمًا: ربما تكون العصابة!

جاء صوت عميل رقم «صفر» يقول: أظن أن الموقف ليس طيبًا حتى الآن ...

سكت لحظة ثم أضاف: غير أن د. «مازني» تحت مراقبتنا، وسوف أنقُل إليكم أخباره أولًا بأول.

ثم انتهت المكالمة. وضع «أحمد» السماعة وهو يقول: أظن أننا في حاجة إلى النوم الآن ... فنحن لا ندري ماذا يمكن أن يحدث غدًا.

وتمنَّى الشياطين لبعضهم نومًا هادئًا. ثم انصرف كلٌّ إلى غرفته. بقيَ «أحمد» وحده ... كان يفكِّر في احتمالات الغد: ماذا سيحدث؟ وهل يمكن أن يحدث خطأ ما؟ وهل تفكر العصابة في خطف د. «مازني» إذا لم يسافر غدًا ... كانت الاحتمالات كثيرة، لكنها تظل احتمالات فقط، ولهذا قال لنفسه: ينبغي أن أنام الآن. ولا مفرَّ من النوم!

ألقى نفسَه على السرير، لكن عقله كان نشطًا تمامًا. أخذ يمارس بعض تدريبات النوم، حتى استغرق فيه ولم يستيقظ وحده كعادته، فقد كان رنين التليفون هو الذي أيقظه. رفع السماعة وهو يتثاءب، فهو يعرف أن أحد الشياطين يوقظه، ولا بُدَّ أن النهار قد ملأ الدنيا، إلا أنه فجأةً قفز من السرير، فقد كان المتحدث هو عميل رقم «صفر» يقول: إن د. «مازني» سوف يغادر البيت في العاشرة تمامًا.

سأل «أحمد»: ما هو حال الجو الآن؟

رد العميل: لا بأس!

سأل «أحمد» مرة أخرى: ألا توجد احتمالات لقيام عاصفة مثلًا؟

ردَّ العميل: حسب تقارير الأرصاد، فإن الجو سوف يتحسن أكثر فأكثر ...

نظر «أحمد» في ساعة يده ... وكانت تشير إلى الثامنة صباحًا. قال لنفسه: لقد تأخَّرت في النوم، ويبدو أن الشياطين قد تأخَّروا أيضًا ... تذكَّر أن السماعة ما زالت في يده، فقال: إن الوقت لا يزال أمامنا!

جاء صوت العميل، وفيه معنى الابتسام: نعم، لكن يبدو أنك شردت قليلًا!

ابتسم «أحمد» وهو يرد: نعم، لقد شردت فعلًا.

قال العميل: سوف تجدون خلف الفندق سيارتين لهما لون الثلج، حتى تكون مغامرتكم جيدة، والسيارتان مجهزتان تجهيزًا خاصًّا، حسب تعليمات الزعيم.

شكره «أحمد» ثم انتهت المكالمة. وضع السماعة، ثم شرد قليلًا، وبسرعة رفع السماعة مرة أخرى، وطلب غرفة «عثمان»، دقَّ الجرس، واستمر قليلًا في الرنين، ثم جاء صوت «عثمان» ملهوفًا: ماذا هناك؟

ضحك «أحمد»، فجاء صوت «عثمان» مرة أخرى: لقد تأخرت في النوم كثيرًا، سوف أكون عندك حالًا!

ابتسم «أحمد» وهو يدير قرص التليفون ليتحدث إلى «رشيد»، وقال لنفسه: لقد كانوا في حاجة شديدة للنوم.

جاء صوت «رشيد» يقول: إنني جاهز، ولم أوقظك حتى تأخذ حاجتك من النوم. سوف أكون عندك حالًا.

وضع سماعة التليفون، فدقَّ الباب دقاتٍ يعرفها الشياطين، ابتسم، فقد عرف أنه «قيس»، فتح الباب بسرعة، فدخل «قيس» وهو يقفز قائلًا: بعض النشاط، حتى نكون جاهزين للعمل!

ابتسم «أحمد» وبسرعة انضم «رشيد» و«عثمان». نقل لهم مكالمة عميل رقم «صفر» فظهرت الفرحة على وجوههم. ونظر «عثمان» في ساعته وهو يقول: إذن ... هيا بنا.

ابتسم «أحمد» وقال: إن الطريق إلى بيت د. «مازني» يحتاج إلى ربع ساعة فقط.

انتظر لحظة، ثم أضاف: الآن، سوف نتحرك أنا و«رشيد» إلى حيث منزل د. «مازني»، و«قيس» و«عثمان» إلى الطريق الرئيسي، والانتظار هناك ... فقد تحدث مفاجأة ما ...

وافق الشياطين على خطة «أحمد»، وهتف «عثمان»: إنني جائع تمامًا، فلا تضيِّعوا عليَّ فرصة الإفطار.

ابتسم الشياطين، واستأذن «أحمد» في استبدال ثيابه. كان الشياطين يلبسون ملابس مناسبة تمامًا لمغامرتهم كانت ملابس ذات لون ثلجي. حتى الأحذية المطاطية كان لها نفس اللون. في دقيقة، كان «أحمد» قد ارتدى ملابسه، وانطلقوا جميعًا ...

في المطعم طلبوا ساندوتشات سريعة. في نفس الوقت الذي كانت عينا «أحمد» ترقب ساعته الرقمية. خوفًا من أن يسرقهم الوقت وعندما جاءت الساندوتشات، أكلوا بسرعة، ثم غادروا الفندق، ولمعلومات عميل رقم «صفر»، أخذوا طريقهم إلى خلف الفندق. وما إن وصلوا إلى هناك حتى صاح «رشيد»: يا إلهي! كم هما رائعتان!

كانت السيارتان تقفان خلف بعضهما بلونهما الثلجي الرقيق، وما إن وصل الشياطين إليهما، حتى أسرع «رشيد» إلى السيارة الأمامية فجلس خلف مقعد القيادة، وجلس «أحمد» بجواره، أما «قيس» و«عثمان» فقد ركبا السيارة الأخرى. وكان «قيس» هو الذي يقود. وعندما تحركت سيارة «أحمد» ... ابتسم «رشيد» وهو يقول: هذه أول مرة أقود فيها سيارة لها هذه المواصفات ...

كانت السيارة عادية الشكل، حتى لا تلفت نظر أحد. لكنها كانت تضم من داخلها استعدادات خاصة؛ رشاشات بلا صوت، جهاز دخان، إضاءة قوية، زجاج ضد الرَّصاص، تستطيع أن تتحرك في أي أرض وبسرعة تتحول إلى لنش، لتسير في الماء. بها كاميرات كاشفة، وجهاز رادار، ليس فيها جهاز فرامل عادي ... ففي تابلوه السيارة كل شيء؛ مجموعة كبيرة من الأزرار هي التي تؤدي حركة السيارة، وحتى عجلة القيادة يمكن إلغاؤها، ففيها جهاز توجيه إلكتروني.

داس «رشيد» زر السير فتحركت السيارة في بطء، ثم أخذت سرعتها تزداد شيئًا فشيئًا، كان «رشيد» سعيدًا بها، أما «أحمد» فقد كان سعيدًا لأن الطقس كان بديعًا ... صحيح أن الشمس لم تكن واضحة، فهي مختفية خلف سحب كثيفة إلا أن الجو كان شاعريًّا تمامًا. كانت الشوارع مغسولةً من أثر العاصفة الثلجية أمس.

وجَّه «رشيد» هدف السيارة إلى حيث يقع منزل د. «مازني»، حسب الخريطة التي يحملها «أحمد»، وعندما اقتربت السيارة من المنزل، ظهرت إشارة حمراء في تابلوه السيارة.

قال «أحمد»: ينبغي أن نكون بعيدين. وفي نفس الوقت نرى المنزل ... دار «رشيد» بالسيارة، حتى وقف عند نقطة متقاطعة مع شارع د. «مازني»، وانتظر ...

قال «أحمد»: برغم أنه لا يوجد شيء واضح، إلا أنه من المؤكد أن العصابة تراقبه من مكان ما.

مرت لحظات، ثم خرجت سيارة من حديقة منزل د. «مازني»، وأخذت اتجاهها حيث تقف سيارة الشياطين. قال «أحمد»: يجب أن نتحرك الآن، إن د. «مازني» ليس له طريق سوى الطريق الذي نمشي فيه، وعندما نكون في المقدمة فإن ذلك لن يلفت نظر أحد. ومن المؤكد أن سيارات العصابة سوف تكون خلفه ...

سكت لحظة، وكان «رشيد» قد ضغط زر السير، فتحركت السيارة، وأضاف «أحمد»: إن سيارات العصابة سوف تظهر في الخلاء. ومن المؤكد أيضًا أن سيارة على الأقل، سوف تكون أمام سيارة د. «مازني»، وسيارة أخرى خلفه.

كان «رشيد» يستمع وهو ينفذ تعليمات «أحمد». فجأةً، تحرك مؤشر الرادار، فقال «رشيد»: هناك سيارة لا تبعد كثيرًا عنا!

هزَّ «أحمد» رأسه، ولم ينطق بكلمة. كانت الشوارع هادئة هذا الصباح، ولم يكن هناك ما يُعطِّل تقدُّم السيارة. كان «أحمد» و«رشيد» يراقبان سيارة د. «مازني» على شاشة صغيرة في تابلوه السيارة. وكانت تمشي على بعد عشرين مترا. كان الطريق ممتدًّا

من بيت د. «مازني» حتى خارج المدينة الصغيرة، ثم يبدأ الطريق إلى الحدود النمساوية. فجأةً اهتزَّ مؤشر جهاز التسجيل، وبدأ صوت يقول: هذه سيارة غريبة!

انتبه «أحمد» و«رشيد» ... وهمس «رشيد» يقول: إنها إحدى سيارات العصابة!

جاء الصوت يقول: هل تظن أنها سيارة حراسة؟

جاء صوت آخر يقول: لا بأس لو كانت كذلك. إنها يمكن أن تشتعل بعد دقائق!

ابتسم «أحمد» وقال: إنها سيارتهم فعلًا.

بدأ الخلاء يظهر، وكان لون الثلج يُغطِّي الأفق، والأشجار، وجوانب الطريق. ومن بعيد، ظهر جبل قليل الارتفاع وقد غطَّته الثلوج تمامًا. همس «رشيد»: إننا نقترب من لحظة الصدام!

ردَّ «أحمد»: أتوقع أن يبدأ الهجوم عند هذا الجبل، وربما تكون هناك سيارات خلفه!

تساءل «رشيد»: أين «قيس» و«عثمان» الآن؟

ألقى «أحمد» نظرة طويلة حتى الأفق تم ابتسم قائلًا: إن سيارتهم تبدو وكأنها غير موجودة!

ضغط زرًّا في تابلوه السيارة، فظهرت سيارة الشياطين الأخرى بين الأشجار الكثيفة التي تقف على جانبي الطريق، همس: إنهم يقفون في منطقة جيدة.

أخرج جهاز الإرسال، وأرسل لهم رسالة شفرية، كانت الرسالة تقول: إننا في الطريق إليكم، وخلفنا د. «مازني».

جاء الرد سريعًا يقول: نحن نعرف أن السيارة لا تعطينا فرصة البحث عن أي شيء.

ابتسم «أحمد» وتحدَّث إليهما من خلال تليفون السيارة: إنني أتوقَّع الصدام عند الجبل اللامع أمامنا ... أرجو أن يكون بداية النهاية لهم.

جاءه صوت «عثمان»: نحن أيضًا نتوقع ذلك.

رد «أحمد»: إلى اللقاء إذن!

كانت سيارة د. «مازني» لا تزال في تقدُّمها خلف سيارة الشياطين. وكأنه كان يقود على نفس السرعة. نظر «أحمد» إلى مؤشر السرعة. وكان يشير إلى خمسين كيلومترًا. أصبحت سيارة الشياطين خارج المدينة. كان كل شيء يغطيه الثلج. ولم يكن يظهر أيُّ أثرٍ للحياة. وكان كل شيء قد انسحب منها. فجأةً سجَّل جهاز التسجيل صوتين. كان الصوت يقول: الهجوم عند «جبل الفضة»!

همس «أحمد»: تمامًا كما توقعنا. سيكون الهجوم عند الجبل.

كانت سيارة د. «مازني» تقترب من سيارة الشياطين، فقال «أحمد»: دعه يمر، إن ذلك سوف يكون في صالحنا.

مرَّت سيارة د. «مازني» وأصبحت أمام سيارة الشياطين ... ابتسم «أحمد» وقال: إنَّه يتعجَّل لحظة الصدام.

كان الجبل يلمع في الأفق وكأنه لوحة زيتية. وكانت السيارة مندفعةً في الطريق إليه، أو في الطريق إلى النهاية.

مطاردة سينمائية حول «مازني»

همس «رشيد»: ينبغي أن يتحرك «قيس» إلى هناك.

رفع «أحمد» سماعة تليفون السيارة وتحدَّث إلى «قيس» الذي قال: إننا فعلًا سوف ننفذ ذلك.

ألقى «أحمد» نظرةً على الطريق لكنَّه لم يرَ سيارة «قيس» ... ابتسم وهو يقول: لا بد أنه سلَكَ طريقًا آخر!

قال «رشيد»: لكنه لا يوجد طريق آخر غير الذي نسير فيه!

ردَّ «أحمد»: الشياطين يجدون طريقهم دائمًا!

كان الجبل يقترب بسرعة، تحفز «أحمد». فجأةً ظهرت سيارة بيضاء تتحرك قريبًا من الجبل. فجأةً ظهرت سيارة أخرى سوداء من بين الأشجار.

قال «رشيد»: إن السيارات تتكاثر!

رد «أحمد»: لا بأس، إنها معركة واحدة على كل حال!

صمت لحظة، ثم أضاف: إن ما يهمنا هو د. «مازني» فقط، ومن الضروري ألا ندع واحدة من هذه السيارات تقترب منه، وإلا نكُنْ قد فقدنا د. «مازني» نفسه ... رفع سماعة التليفون وتحدث إلى «عثمان»: أين أنتما الآن؟

رد «عثمان»: إننا في مكان جيد تمامًا، ونحن نرى السيارة البيضاء والسوداء الأخرى.

فجأةً ظهرت سيارة ثالثة ... فقال «أحمد»: ينبغي أن نبدأ المعركة.

كانت سيارتان من السيارات الثلاث قريبتين من سيارة «أحمد»؛ واحدة من جانب والأخرى من الخلف ...

قال «أحمد»: ارفع سرعة السيارة وانطلق في اتجاه السيارة الجانبية!

ضغط «رشيد» زر السرعة. فانطلقت السيارة في سرعة رهيبة في اتجاه السيارة السوداء التي كانت تتقدم في بطء ... وعندما شعرت السيارة السوداء باقتراب سيارة الشياطين ... حاولت أن تتفاداها ... إلا أن جهاز التوجيه في سيارة الشياطين، كان موجهًا ناحية السيارة السوداء فصدمتها في قوة. جعلتها تنقلب جانب الطريق. في نفس الوقت تحدَّث «أحمد» إلى «عثمان»: ينبغي أن يشغل أحدكما د. «مازني» حتى لا يلتفت لما يحدث.

رأى «رشيد» السيارة البيضاء تندفع في اتجاه سيارة د. «مازني» التي كانت لا تزال بعيدة بعض الشيء، إلا أنَّ «رشيد» اعترض طريقها فاضطرت السيارة أن تُبطئ سرعتها. تردد صوت كلاكس سيارة العصابة يطلب من سيارة «أحمد» أن تُفسح له الطريق، إلا أن «رشيد» ظل يسده أمامها. وفي شاشة السيارة رأى أحد رجال العصابة يُخرج مسدسه، ويُحكم النيشان على عجلة سيارته ... فابتسم. أطلق رجل العصابة طلقة رصاص اصطدمت بإطار سيارة الشياطين، ثم طاشت في الهواء. ابتسم «رشيد» وقال: إنه طبعًا لا يعرف أن هذه إطارات خاصة، لا تخضع لهذه العمليات!

سمع الاثنان من خلال جهاز التسجيل صوت أحدهم يقول: لا يمكن. كيف لم ينفجر إطار السيارة.

قال صوت آخر: ينبغي أن نلحق بها!

رأى «رشيد» سيارة العصابة تندفع في قوة ناحيته. في نفس الوقت رأى «أحمد» سيارة «قيس» تتجه إلى سيارة د. «مازني»، وقبلها بمسافة توقَّفت، وقفز «عثمان» منها. ثم اندفعت في اتجاه سيارة العصابة عند الجبل الثلجي، ثم اصطدمت بها صدمة خفيفة، جعلت السيارة تدور حول نفسها دورة كاملة، ثم تصبح خلف سيارة «قيس» تمامًا. غير أن «قيس» اندفع بسيارته إلى الجبل الثلجي فتبعته سيارة العصابة.

فجأةً اهتزَّت سيارة «أحمد» بعنف؛ فقد اصطدمت بها سيارة العصابة، ضغط «رشيد» على زر الفرامل، فتوقَّفت السيارة فجأةً، واصطدمت بسيارة العصابة مرة أخرى. ولم يتحرك «رشيد» بالسيارة. رأى «أحمد» اثنين من السيارة ينزلان منها بسرعة، ثم يتجهان إلى سيارتهما.

همس لـ «رشيد»: إنهما يقتربان منَّا، كلٌّ من ناحية أحد الأبواب؛ فكن مستعدًّا!

وقبل أن يصلا، رأى «أحمد» من بعيد «عثمان» وهو يقف بجوار سيارة د. «مازني»، فعرف أنه يشغله حتى لا يلفت نظره لما يدور. في نفس اللحظة، وصل رجلا العصابة؛ واحد عند «أحمد»، والآخر عند «رشيد» وعندما توقَّفا وانحنيا يتحدثان إلى «أحمد» و«رشيد»، فتح الشياطين بابي السيارة بقوة مرة واحدة، فسقط الرجلان على الأرض، وقبل أن يقوما،

كان «أحمد» و«رشيد» قد قفزا إليهما. ضرب «أحمد» الرجل القريب منه ضربة، جعلته ينبطح على الأرض، فأسرع إليه. إلا أن الرجل قفز قفزة قوية، واصطدم بـ «أحمد» فتراجع بسرعة، أسرع الرجل يجذب مسدسه. لكن قبل أن يطلقه، كان «أحمد» قد أخرج مسدسه، وأطلق طلقة صامتة أطارت المسدس من يد الرجل. فلاذا بالفرار. التفت «أحمد» في اتجاه «رشيد» فرآه طائرًا في الهواء، ثم ضرب الرجل ضربة قوية جعلته يدور حول نفسه ... وقبل أن يسقط على الأرض كانت يدٌ مستقيمة قد خرجت إلى الرجل فسقط على الأرض بلا حَراك. نظر «أحمد» في اتجاه «عثمان»، فرآه لا يزال يتحدث إلى د. «مازني»، وكأنَّ شيئًا لا يحدث، فقال لنفسه: رائع أن «عثمان» يقوم بمهمته خير قيام.

كان «رشيد» يقف هو الآخر، فقال «أحمد»: لم تبقَ سوى السيارة التي تطارد «قيس»، التي كانت قد اختفت خلف الجبل، هي وسيارة «قيس» ... قفز الاثنان بسرعة، إلى سيارتهما. وعندما استقرَّا فيها. ضغط «رشيد» زر السير، فتحركت السيارة ... ثم ضغط زر السرعة، فانطلقت السيارة في سرعة رهيبة. وفي لحظة كانت تتجاوز سيارة د. «مازني» ... ورأى «أحمد» «عثمان» وهو يبتسم.

انطلقت سيارة «رشيد» إلى الجبل حتى تجاوزته واختفت خلفه. كانت سيارة العصابة تطارد سيارة «قيس»، وتكاد أن تقترب منها ...

قال «رشيد»: إن «قيس» يسير بسرعة معقولة، تجعل سيارة العصابة مستمرة في مطاردته!

ظلَّت سيارة «رشيد» تقترب أكثر فأكثر، حتى لم يعد بينها وبين سيارة العصابة سوى أمتار قليلة. فجأةً ارتفع زجاج السيارة الخلفي، وظهر أحد رجال العصابة وفي يده مدفع رشاش ... ابتسم «رشيد» وقال: سوف يصابون بالدهشة مرة أخرى!

ضغط رجل العصابة زناد الرشاش، فانطلقت مجموعة من الطلقات في الهواء. ظهر الفزع على وجه رجل العصابة، ثم وجَّه رَصاص الرَّشاش إلى مقدمة السيارة، وأطلق مجموعة طلقات. اصطدمت هي الأخرى بمقدمة السيارة، ثم طاشت في الهواء، أعاد رجل العصابة تجربته من جديد، ووجَّه طلقات الرشاش إلى إطار السيارة ومرة أخرى، اصطدمت الطلقات بإطار السيارة، ثم طاشت في الهواء. صرخ الرجل في فزع. في نفس الوقت ضغط «رشيد» زر السرعة مرة أخرى، فاندفعت سيارته حتى تجاوزت سيارة العصابة. واقتربت من سيارة «قيس». رفع «أحمد» سماعة التليفون وتحدَّث إلى «قيس»: خذ جانب الطريق، واترك سيارة العصابة تمر!

أخذ «قيس» يمين الطريق، فاندفعت سيارة «رشيد» ومن خلفها سيارة العصابة. في نفس الوقت تحدَّث «أحمد» مرة أخرى إلى «قيس»: عُد أنت إلى «عثمان»، واترك سيارة العصابة لنا!

استدار «قيس»، وعاد إلى «عثمان» ... بينما كانت سيارة «رشيد» مندفعة، وخلفها سيارة العصابة، التي كانت المسافة بينهما تزداد. قال «أحمد»: اخفض سرعة السيارة، حتى يقتربوا منا. إنَّ أمامنا بحيرة متجمدة، تظهر على شاشة السيارة! نفَّذ «رشيد» تعليمات «أحمد» وخفض السرعة. كانت سيارة العصابة تقترب بسرعة، حتى اقتربت تمامًا ...

فقال «أحمد»: سوف ننزل البحيرة. وهم سوف يندفعون خلفنا ... وسوف ينتهون إلى الأبد. ثم ضغط زرًّا في تابلوه السيارة، فأصبحت جاهزة لكي تعمل في الماء في نفس الوقت، ثم قال: ارفع السرعة الآن!

ضغط «رشيد» زر السرعة، فاندفعت سيارته فوق سطح البحيرة المتجمدة، في نفس الوقت دخلت سيارة العصابة سطح البحيرة. وفجأةً بدأت تتخبط، أوقف «رشيد» السيارة، ثم نظر خلفه. كانت السيارة قد بدأت تغوص في الماء، بعد أن كسرت سطحه المتجمد. لقد كانت في طريقها إلى الهاوية ... في نفس الوقت كان ثلاثة رجال قد قفزوا منها ... وأصبحوا يقفون على حافَّة الهاوية الثلجية.

ابتسم «رشيد» وقال: هذه مغامرة حافة الهاوية ... فقد انتهَوْا عند الحافَّة تمامًا!

ركب «أحمد» و«رشيد» الذي استدار بالسيارة بسرعة، حتى وصل إلى الرجال الثلاثة. أخرج أحدهم مسدسه، وأطلق طلقة في زجاج نافذة السيارة القريب من «أحمد»، إلا أن «أحمد» ابتسم، فقد اصطدمت الطلقة بالزجاج، وهو ضد الكسر ... ثم طاشت في الهواء. فتح «أحمد» فتحةً سرية، ثم تحدَّث إلى الرجال: هل تنتهون في الثلج، وتتحولون إلى كتل ثلجية؟ ...

كان الرجال ينظرون إليه في دهشة. قال «أحمد» وهو ينظر إليهم من خلف زجاج النافذة: عليكم بإلقاء سلاحكم، وإلا تركتكم هنا!

نظر الرجال إلى بعضهم، وتردَّدوا في تنفيذ ما طلبه «أحمد»، غير أن أحدهم قال بعد لحظة: ليس أمامنا سوى أن نُلقيَ السلاح.

أخرج كلٌّ منهم مسدسه، ثم ألقاه بعيدًا. قال «أحمد»: اقتربوا!

تحركوا في اتجاه السيارة. كان «رشيد» قد ضغط زرًّا، فأصدر جهازًا خاصًّا في السيارة ذا حرارة عالية، فجأةً كان الثلج يذوب حول السيارة، وحول أقدام الرجال. أخذوا

يتصايحون، وضغط «رشيد» زر السير، فتحركت السيارة في نفس الوقت الذي كان فيه الرجال الثلاثة يغوصون في الماء، إلا إنهم تعلَّقوا بأطراف الأماكن الصلبة التي تصل إليها الحرارة. ابتسم «رشيد» وهو يقول: حافَّة هاوية أخرى!

ثم ضغط زر السرعة، فانطلقت السيارة تعبر سطح البحيرة المتجمدة حتى خرجت منها ... ضغط «أحمد» زرًّا آخر، فأصبحت السيارة مستعدةً للسير على الأرض ... اتجه «رشيد» بسرعة إلى الجبل، حتى تجاوزه ومن بعيد شاهد الاثنان «قيس» و«عثمان» وهما ما زالا يتحدثان إلى د. «مازني» الذي كانت سيارته لا تزال متوقفة على جانب الطريق. وعندما وصلا هناك نزلا بسرعة، فألقى «أحمد» تحية الصباح على د. «مازني»، وقال «قيس» بسرعة: هل انتهيتم من تصوير المطاردة؟

ابتسم «أحمد»، فقد فهم ما يعنيه «قيس»، وقال: نعم، انتهينا من التصوير.

فقال «عثمان»: كنت أشرح للدكتور «مازني» نوعية الفيلم الذي نقوم بتصويره، فقد لفت نظرَه صوتُ طلقات الرصاص واصطدام السيارات ...

ابتسم «أحمد» وقال: كانت مطاردة مثيرة، سوف تُعجِب المشاهدين تمامًا.

سأل د. «مازني»: وما اسم الفيلم الذي تقومون بتصويره؟

ردَّ «رشيد»: حافة الهاوية.

ابتسم د. «مازني» وهو يقول: اسم مثير!

سأل «رشيد»: إلى أين يذهب السيد «مازني»؟

قال «مازني»: إلى «فيينا» ... فلديَّ مؤتمر علمي هناك!

كان «جون» و«جان ماري» يتابعان الحديث، فقالت «جان ماري»: كنت أتمنى أن أرى المطاردة على الطبيعة!

ضحك «أحمد» وقال: في المرة القادمة.

ثم قال للدكتور «مازني»: سوف نسير أمامك في الطريق إلى «فيينا»، فهناك بحيرة متجمدة في الطريق، سوف ندور حولها، فلا تبتعد عن طريقنا. سوف تكون إحدى السيارتين أمامك، والأخرى من خلفك.

ابتسم د. «مازني»، وقال: إنَّني أشكر لكما ذلك!

ركب الشياطين السيارتين. وتقدَّم «رشيد»، وقاد «قيس» السيارة من الخلف. ولم يعرف د. «مازني» أن هذه المغامرة هو بطلها الأول.

هنـــداوي